١٥- سورة الحِجْرِ

حفظ الله لعباده المخلصين وإهلاكه للمعاندين المكذبين.

(١) وقفة بين يدي السورة:

السورة نزلت في وقت اشتد فيه الأذى على النبي ﷺ والمسلمين في مكة، وتعرضوا للاستهزاء، فجاءت هذه السورة رسالة قرآنية من الله ليطمئن رسوله والمسلمين أن هذا الدين محفوظ من الله تعالى، وما على المسلمين إلا الاستمرار في الدعوة والتركيز عليها، وعدم الانبهار بقوة أعدائهم، أو الشعور بالضعف والوهن والانهزامية أمام الأعداء.

اسم السورة يشير إلى أصحاب الحِجْر (قوم ثمود)، وهم نموذج الطغيان والاستكبار الذين ركنوا إلى حصونهم القوية وقلاعهم الحصينة، وظنوا أن فيها الأمن والأمان والحفظ فلم تغن عنهم شيئًا، فجاءتهم الصيحة لتهلكهم، لنعلم نحن أنَّه لا حافظ إلا الله، وأن الحفظ لا يكون بالوسائل المادية، وإنما بطاعة الله.

وقد جاءت قصة آدم عليه السلام مع الشيطان في هذه السورة لتقرر أمرين:

١- حفظ الله لأوليائه من كيد الشيطان متى اعتصموا بحصن الإخلاص والتوكل.

٢- إغواء الشيطان لأوليائه عبر الاغترار بقوتهم والانخداع بطول الأمل وإمهال الله لهم.

(٢) سورة الحفظ والعناية الربانية:

سورة الحجر سورة بمجرد قرائتها تشعر بالأمان، إنها سورة الحفظ والعناية الربانية، مع كل آية من آياتها تجد قلبك يطمئن على رزقك، على دينك، على قرآنك، فكيف ذلك؟!

لأن رسالتها ببساطة: الله هو حافظ هذا الدين وهذا الكتاب وليس البشر فقط، ادع إلى ربك واعبده ولا تلتفت لاستهزاء حاقد أو كاره للدين.

(٣) أنواع الحفظ التي وردت في سورة الحجر:

١- حِفْظ الله لكتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩).

٢- حِفْظ الله للسماوات: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (١٦، ١٧).

٣- حِفْظ الله للأرض: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (١٩).

٤- حِفْظ الله للأرزاق في الخزائن: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢١).

٥- حِفْظ الله للمؤمنين في الدنيا: عندما توعد إبليس بإغواء بني آدم جميعًا: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٣٩-٤٠).

٦- حِفْظ الله للمؤمنين في الجنة: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ... لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (٤٦-٤٨).

٧- حِفْظ الله لإبراهيم ولوط عليهما السلام لما نجاهم وأهلك قومهم.

٨- حِفْظ الله لشعيب وصالح عليهما السلام لما نجاهم وأهلك قومهم.

٩- حِفْظ الله لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٩٥).

ولذا عدها بعض أهل العلم: سورة الحفظ.

(٤) يا قارئ سورة الحجر: - اهتف بقلبك ووجدانك لا حافظ إلا الله وحده.

- أصلح نفسك وادع غيرك إلى الله تنعم بحفظ الله في الدنيا والآخرة.

- استشعر بقلبك أن الكون كله بيد ربك الحافظ العليم، دينك محفوظ، قرآنك محفوظ، رزقك محفوظ، السماوات والأرض محفوظتين.

(٥) أسماء السورة:

١- الاسم التوقيفي: الحِجْرُ.

٢- معنى الاسم: الحِجْرُ: اسم ديار ثمود قوم صالح عليه السلام بوادي القرى بين المدينة والشام.

٣- سبب التسمية: لأن الله ذكر فيها ما حدث لقوم صالح وهم قبيلة ثمود وديارهم بالحِجْر.

٤- أسماء أخرى اجتهادية: لا نعرف لها اسم غيره.

(٦) من خصائص السورة (مما تتميز به السورة عن غيرها):

١- احتوت سورة الحجر على أطول كلمة في القرآن، وهي: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ (٢٢)، وحروفها ١١ حرفًا.

٢- هي آخر السور الخمس -بحسب ترتيب المصحف- التي افتتحت بحروف التهجي: ﴿الر﴾، وهذه السور: يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر.

٣- احتوت سورة الحجر على الموضع الوحيد الذي أقسم الله فيه بنبيه ﷺ، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢)، ولم يقسم الله تعالى بحياة غير نبيه ﷺ.

(٧) جدول السورة:

ترتيبها:	في المصحف: ١٥	في النزول: ٥٤	في الطول: ٤٠		
تصنيفها:	مكية: ٨٦/٨	المثاني: ٣٠/٤			
عدد:	الآيات: ٩٩	الصفحات: ٥,٥	جزء ٠,٢٥	حزب ٠,٥	٢ ربع
موقعها:	بدايتها في الجزء: ١٤		نهايتها في الجزء: ١٤		
فاتحتها:	حروف التهجي: ٢٩/٩	ثلاثة حروف: ١٣/٧	آلر: ٥/٥		

(٦) مقصد السورة: - مصارع الطغاة والمكذبين لرسل الله في شتى الأزمان والعصور.

- حفظ الله لعباده المخلصين وإهلاكه للمعاندين المكذبين.

(٧) خرائط السورة: في ملف الخرائط.

(٨) موضوعات السورة:

١- موقف المشركين من القرآن وحفظ الله له، وبيان عادة الأمم السابقة في تكذيب الرسل والاستهزاء بهم، والإصرار على الضلال حتى ولو رأوا المعجزات (١-١٥).

٢- بعض آيات الله الكونية الدالة على توحيده وعظمته (١٦-٢٥).

٣- قصة بدء الخليقة (آدم وإبليس) وبيان مصير الغاوين والمهتدين (٢٦-٥٠).

٤- قصص الأنبياء لبيان هلاك المكذبين بهم (٥١-٨٤).

١) قصة ابراهيم عليه السلام مع ضيوفه من الملائكة (٥١-٦٠).

٢) قصة آل لوط عليه السلام (٦١-٧٧).

٣) قصة أصحاب الأيكة (قوم شعيب عليه السلام) (٧٨-٧٩).

٤) قصة أصحاب الحِجْرِ (قوم صالح عليه السلام) (٨٠-٨٤).

٥- تذكير النبي ﷺ بنعمة القرآن، وأمره بالجهر بالدعوة وعبادة الله حتى الموت (٨٥-٩٩).

(٩) علمتني سورة الحجر:

١- علمتني سورة الحجر أن أحمد الله على الإسلام، وأن أدع الله أن يثبّتني عليه حتى ألقاه ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢).

٢- علمتني سورة الحجر أن حياة المعرضين عن الله في التلذذ بالمأكل، والتمتع بالشهوات، وطول الأمل ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

٣- علمتني سورة الحجر أن طول الأمل داء عضال ومرض مزمن ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

٤- علمتني سورة الحجر ألا أحزن على قلة رزقي؛ فإن الله أعلم بمصلحتي مني ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٢١).

٥- علمتني سورة الحجر أن جميع الأرزاق خزائنها بيده، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، بحسب حكمته ورحمته ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ (٢١).

٦- علمتني سورة الحجر أن الله استجاب لشر الخلق إبليس حين قال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦)، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ (٣٧)، ألا يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات؟!

٧- علمتني سورة الحجر أن تزيين الملهيات والمحرمات من أقوى أسلحة إبليس ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩).

٨- علمتني سورة الحجر أنه لا يسلم من إغواء الشيطان إلا المخلصون ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠).

٩- علمتني سورة الحجر أن إبليس ليس له سلطان وتسلط على أحد؛ إلا من سمح له بذلك ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٤٢).

١٠- علمتني سورة الحجر أنه لا قيمة للنسب ولا المصاهرة إذا عدم الإيمان ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٦٠).

١١- علمتني سورة الحجر ألا أجعل المعارك الجانبية تستهلك عمري ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ (٦٥).

١٢- **علمتني سورة الحجر** أنه ليس شرطًا أن يكون العظيم أولًا، ربما تقتضي العظمة أن تمشى آخر الصفوف أحيانًا ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ (٦٥).

١٣- **علمتني سورة الحجر** أن من كذب برسول واحد فقد كذب بجميع المرسلين ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٨٠)، وهم كذبوا نبيهم صالحًا فقط.

١٤- **علمتني سورة الحجر** أن المنشغلين بالآخرة لا وقت لديهم للعداوات والحقد وغيرهما من توافه الأمور ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٨٥).

١٥- **علمتني سورة الحجر** أن أعامل إخواني -وخاصة الخدم والعمال- بلطف وبشاشة ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨).

١٦- **علمتني سورة الحجر** أنه لا توجد نفس لا تؤلمها الكلمات ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧).

١٧- **علمتني سورة الحجر** أن التسبيح والصلاة من أهم الأدوية في علاج الضيق وإزالة الهموم ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٩٧، ٩٨).

١٨- **علمتني سورة الحجر** أن الطاعات لا تتوقف بإنتهاء المواسم، العبادة مستمرة حتى يأتي الأجل ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩).